حوادث منــزلية كنتُ شاهدًا عليها

حوادث منــزلية باشرت حوادثها :

١ – كانت هناك أسرة مكوَّنة من أب وأم وثلاثة أطفال متقاربة أعمارهم بين سنتين وخمس سنوات يسكنون في شقة في وسط الرياض، مع بداية ساعات الدوام الأولى خرج الرجل إلى عمله وفي ساعة الضحى خرجت الأم لزيارة جارتها في الشقة الملاصقة لها مباشرة ، تاركةً صغارها في البيت لوحدهم على أمل أنْ تقضي فترة مؤانسة مع جارتها، فقفلت عليهم باب الشقة من الخارج، تحلّق الصغارُ في الصالة لمشاهدة فيلم كرتوني ، تحرك أحدهم إلى المطبخ وأخذ يلعب بأعواد الثقاب (الكبريت) الذي استهوتْه شعلته، وبعبث طفولي جاء إلى إخوانه يدعوهم لمشاركته اللعبة .

كانت الصالة مفروشة بفرشة مطاطية وعلى حافة محيطها تكايات إسفنجية (طراحة) مغطاة بقماش خفيف شفاف، قام يستعرض أمام إخوته لعبته التي استهوتْه فأشعل عود الثقاب (الكبريت) بالقرب من طرف الفراش فلحقتْ الشعلة بالقماش، وسرعان ما سرت فيه، تضاحك الصغار لهوًا ، وبعد ثوانٍ التهمتْ النارُ الإسفنج وانتقلت إلى الفرش، تأججتْ النار! تصايح الصغار فكان أنْ هربوا إلى الغرفة المجاورة، حيث تصاعدت ألسنة اللهب وعمّ الحريقُ الشقة، فكانوا كلما شعروا بحرارة الحريق يلوذون في بعضهم .

وكان من لطف الله أن انتقلوا إلى الحمَّام الذي لا أثاثَ فيه إلا أن جوه امتلأ بالدخان الكثيف ، تجمعوا في البانيو، أحدهم ألهمه الله أن يفتح الدش فكان يرش عليهم إلا أنهم متأثرون بالأدخنة الخانقة المتصاعدة من الفرش والإسفنج والذي بدأ يخرج من شقوق فتحات النوافذ والأبواب إلى خارج الشقة ، حيث شعرت بذلك الأم بإحساس الأمومة، فصاحت في جارتها قائلة: أشمّ رائحة دخان، قامت لتكتشف، هذا دخان من شقتي! انتابها فزع شديد على أولادها، فهرعت لتفتح الشقة فلم تتمكن؛ لشدة اشتعال النار من الداخل، جارتها سارعت إلى التليفون لتبلغ الدوريات التي بدورها أبلغت الدفاع المدني.

عندما تلقينا البلاغ وعنوان المكان هرعت فرقة الإطفاء إلى مكان الحادث ، ولاحظ معي أن الموقع كان يبعد بما لا يقلّ عن خمسة أو ستة كيلو مترات من مقر الانتقال ، لكن صادف ذلك بداية حركة دوام الموظفين وازدحام الطرق ، إلا أن الفرقة –وأنا على رأسها؛ باعتباري ضابطًا مناوبًا ذلك اليوم– تفانت في سبيل الوصول بأقصى ما يمكن من سرعة ؛ مستشعرين قيمة اللحظة مهما كانت زهيدة، فهي ذات قيمة عالية في إنقاذ الأرواح.

كانت الشقة في الدور الثاني ، صعدنا إليها عبر درج العمارة ، كان الدخانُ كثيفًا وخانقًا ، والأم تحاول فتح الباب وقد استولى عليها الهلع؛ خوفًا على أبنائها ، فور وصولنا جرى التعامل مع الحادث بفتح الباب كسْرًا ، حيث اندفع دخانٌ بكثافة عالية يصعب

اختراقه ، إلا أن مهارة الرجال كانت حاضرة وتجاربهم مع الحوادث كانت ماثلة ، لا نريد الدخول في التكتيكات.

المهم في الأمر أنه تم الوصول إلى مكان الأطفال وانتشالهم وسط ظلمة شديدة وإخراجهم وهم تحت تأثير الإعياء ، تم نقلهم بسيارة الإسعاف إلى المستشفى، أحدهم يعاني من ضيق تنفس قضى نحبه قبل الوصول إلى المستشفى، والثاني أُصيب بحروق بالغة قضى نحبه عند الوصول إلى باب الطوارىء، والثالث لم يلبث إلا دقائق حتى لحق بأخويه.

تصوَّر معي كيف سيكون أثرُ الصدمة على الوالدة التي شهدت الحادث وما تأثيره على الوالد الذي وصل إلى المستشفى وقد سيطرت عليه حالة هيستيرية عندما علم بوفاة أبنائه؟!

شاهدنا: أليستْ الأم التي تركت عيالها وخرجت للوناسة هي المسؤولة أولاً وأخيرًا ؟ فماذا صنعت لها الوناسة عند الجارة ولم يكن في حسبانها جهلاً أو تجاهلاً أنْ يحدث ما حدث لأبنائها؟!

٢ – **حادثة أخرى** : كان رجلٌ يعمل في عمل ليلي، فبعد أنْ أنهى نوبة عمله جاء إلى بيته مُتعبًا ، وكان مُدخنًا ، عندما أوى إلى سريره أشعل سيجارة ورشف رشفةً منها ثم وضعها على طفاية السجائر على طاولة السرير، أخذتْه غفوةٌ ظلتْ السيجارة مشتعلةً بينما غطَّ في النوم، عندما انقلب جاءت يده على الطفاية ، حيث سقطت على السجاد الكثيف، فغارت فيه فتأثر السجاد بنار السيجارة، وظل يحترق ببطء، وشيئًا فشيئًا يزداد الاحتراق ويتوالى الدخان الذي يستنشقه صاحبنا، وتزداد النار حتى وصلت إلى

سرير الرجل الذي احترق في سريره، كلُّ ذلك كان في ساعة متأخرة من الليل.

شعر أحد الأبناء بالحريق، سارع إلى والده فلم يستطع مقاومة النار، فسارع إلى إبلاغ الدفاع المدني. طبعًا انتقلت الفرقة إلى مكان الحادث وتعاملت مع الحريق لكن الرجل كان قد فارق الحياة محترقًا.

٣ – **حادثة ثالثة :** تلك أسرة خرجت للنـــزهة في استراحة، وكان فيها مسبح في زاوية بعيدة عن التجمع العائلي، وبعد مرور وقت افتقدت الأم أحدَ الأطفال الذي كان عمره لا يتجاوز سبع سنين، فقامت تسأل عنه إخوانه فلم تجد له أثرًا ، صاحت: أين فلان؟ ضجَّ المكان يبحثون عنه، كان الأب قد اتجه صوب المسبح فهاله ما رأى ، ابنه طافٍ على سطح الماء ، وكان الأب لا يجيد السباحة فاستنجد بأحد أقاربه الذي ارتمى في الماء ، فوجد الولد قد فارق الحياة ، وهذا يعني أن الغرق قد مضى عليه وقتٌ غيرُ قصير وهم لاهون عنه بتسليات ومسامرة بعضهم بعضًا ، فانقلبت النـــزهة إلى غمة.

٤ – **حادثة رابعة :** أسرة مكونة من زوج وزوجة ، رزقهم الله بولد، يقطنون في شقة في الدور الثاني بعمارة ، كانت الأم منهمكة في المطبخ والولد يحبو في الصالة ، قادته حبوته إلى الحمام الذي فيه غسالة الملابس، وبالقرب منها علبة غسيل (كلوركس) غير محكمة الغلق ، تناولها الطفل وشرب منها ، صاح صيحة ، انتبهت الأم لكن بعد أن التهم ما شربه فكانت كافية لوفاته.

٥ – **حادثة خامسة :** الشقق السكنية تتحول عند النوم إلى صندوق إذا أُقفل بابها ، وذات مرة بُلِّغنا بحادث حريق في شقة في الدور الثالث مطلةٍ على شارع ، تقطنها أسرة مكونة من زوج وزوجة وأربعة أبناء خلدوا إلى النوم بعد قفل باب المطبخ ، كان هناك تسرّب من أسطوانة الغاز الذي ظل يتراكم وهم نيام ، وقبل صلاة الفجر استيقظ الرجل؛ استعدادًا للصلاة ، فعرَّج إلى المطبخ ليشرب كأس ماء ، فتح الباب وفتح زر مصباح (لمبة) الإضاءة ، وبمجرد فتحه اشتعل الحريق بفعل شرارة الكهرباء التي يغفل عنها الكثيرون ، ومعروف الغاز بضراوته.

حاول الرجل أنْ يسيطر على النار التي عمَّتْ المكان بسرعة لكن دون جدوى، حيث سرتْ النار بسرعة إلى الغرفة المجاورة التي فيها الأبناء الذين كانوا يغطُّون في نوم عميق ، أسرع الرجل إلى قفل القاطع الكهربائي فسادت الظلمة مع كثافة دخان عالية والحريق يزداد اندلاعًا، حاولت ربة البيت البحثَ عن مفتاح الشقة الذي كان ضمن مفاتيحها فلم تسعفها الذاكرة أين وضعته، تعالت صيحات الاستغاثة .

أحد الجيران اهتدى إلى الإبلاغ عن الحريق ، تبلَّغت عمليات الدفاع المدني بالحادث، انتقلت الفرقة التي كان همّها الأول إنقاذ الساكنين، كسرت الباب وتم دخول الشقة قسرًا ، وبحسٍّ رجال الإطفاء أسرع أحد أفراد الطاقم إلى المطبخ لإغلاق تدفق الغاز ، وتعامل الباقون لمكافحة الحريق ، وآخرون لإخراج أفراد الأسرة الذين كانوا على درجة عالية من الإعياء ، كان الأب قد أصيب

بحروق والمرأة في حالة إغماء ، ومن لطف الله بهم أنْ تجمعوا في غرفة لم تصل النار إليها بعد ، وكانوا يستعينون برشِّ الماء بالسطل على حوافها؛ كي لا تصلها النار.

وما نود أنْ ننبه إليه لمثل هذا الحادث أن الشقق تتحول إلى صناديق مغلقة إذا حدث حريق ، فلا حظَّ لهم بالهرب ؛ لأن الذاكرة يصيبها شيءٌ من الشلل عند وقوع الحريق المفاجىء ، فقد ينسى الإنسان أين وضع مفتاح الباب ويظل هلعًا يبحث عنه ، وفي هذه الأثناء يزداد الحريق ويزداد معه القلق والتوتر والخوف من التهام النار.

وشاهدنا هنا : أن يكون في حسابنا وضع مفتاح الشقة الرئيس في مكان معلوم للجميع ؛ ليسهل الوصول إليه كوسيلة لإنقاذ الأرواح ؛ لأن الحريق لا يهمل حتى يجد مفتاح الباب أو يتذكر أين وضعه ، عندها تزداد الربكة ويستولي على الإنسان الهلع ويعُمّ البأس من النجاة ، حيث تخور قوى الإنسان مصابًا برعب شديد ، فيقع صريعًا مغشيًّا عليه.